الفاطميون وعقيدتهم بالصوم وفق الفلسفة الإسماعيلية (دراسة تأريخية)

The Fatimid's and their belief in fasting according to Ismaili philosophy, a historical study

م.د حيدر جابر عبد الربيعي

Dr. HaiderJaber Abdel Rubaie

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الأولى

Ministry of Education First Rusafa Education Directorate

hj339590@gmail.com

ملخص:

يناقش هذا البحث مدلول الصيام في عصر الفاطميين الإسماعيليين عبر فترة حكمهم وأبرز مظاهره الاجتماعية ,وأيضا طرق حساب شهر رمضان والكيفية المتبعة بإثباته عدد تام لا يزيد ولا ينقص,غير خاضعة للترجيح ولا لرؤية الهلال ,والاستدلال بأن الصوم هو الصمت عن الكلام والطعام معا, وأنّ الإمام القائم هو أحد خفايا علة الصوم ,وكيف أنهم اتكئوا على علم التأويل الظاهر والباطن في تدعيم آرائهم, وفق أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله)والعترة الطاهرة , وكيف أنهم اعتمدوا على حسابه بفلسفة واستقراء غاية بالاستنتاج والتحليل ,ضمن منهجهم الفكري,فقد جعلوا شهر رمضان ثلاثين يوما ثابتة,ضمن معطيات خاصة بهم استمدوها من عقيدتهم,وأكدوا أن الرؤية نوعان رؤية طبيعية ورؤية نفسانية معتمدين على فن الإقناع والتأثير بالعوام عن طريق العقل .

الكلمات الافتتاحية: الفاطميون ,الصوم, التأويل ,الرؤية.

Abstract

The current study dealt with the meaning of fasting in the era of the Fatimid Ismailis throughout their rule on its most prominent social manifestations, and clarifies the methods of calculating the month of Ramadan which was proved as a complete number that does not increase or decrease, which can't be subjected to weighting or sighting of the crescent moon, and the inference thatRamadan is fasting from speech and food, and that the Imam Al-Qaim is one of the hidden reasons for fasting, and how they relied on the apparent and hidden knowledge of interpretation to support their opinions.According to the hadiths of the Messenger (may God's prayers and peace be upon him and his family) and his family, and how they relied on his calculation with philosophy and extrapolation for the purpose of deduction and analysis, within their intellectual approach, they made the month of Ramadan thirty days, within their own data that they derived from their faith, and they confirmed thatthe vision are seen two types, natural vision and vision. Psychologically, relying on the ability to persuade and influence the publicthrough reason.

key words: Fatimids, fasting, interpretation, vision

المقدمة

تعد الدولة الفاطمية المعتنقة للفرقة الإسماعيلية والتي تعود صلتها العقائدية إلى إسماعيل بن الإمام الصادق (عليه السّلام), من الدول الشيعية التي حكمت أكثر من قرنين من الزمن ما بين المغرب (٢٩٧-٣٥٨هـ/٩٠٩-٩٦٨م) ،ومصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) وقد اتكئ الفاطميون في تفسير أغلب عقائدهم على الفلسفة الإسلامية, التي ميزتهم عن باقي الدول التي حكمت المعمورة آنذاك, فأدخلوا الفلسفة بالعبادات والعقائد كالصوم والصلاة والحج والإمامة والنبوة ....ولهذا كان للصوم نصيب من هذه الفلسفة وفق المنظور الإسماعيلي الخاص بالفاطميين كجزء من هذه العقائد التي اعتاد عليها الفاطميون ,فيعد مفهوم الصوم من أولى المسائل العقائدية التي سعى الفاطميون الإسماعيليون إلى تدعيمها بالفكر الفلسفي بهدف تحصين التوافق بين الفلسفة والشريعة الإسلامية, اعتمد الفاطميون على قدرة الدعاة في الإقناع والتأثير بالمجتمع بمحاكاة العقل ,عن طريق العلم الذي هو جوهر وركيزة أساسية في نشر علوم وأفكار عقيدتهم ,فكان الفاطميون يستميلون قلوب مخالفيهم فضلا عن تقبلهم شعائر أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم ,والحرص على إقامتها,وهذا يؤكد على سعة آفاق عقيدتهم وتسامحها. إن الإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل بالسؤال التالي: لماذا حرص الفاطميون على جعل أيام شهر رمضان ثلاثين يوما تامة ثابتة لا تخضع للرؤية والتباين. ومن خلال خطة البحث يمكننا الإجابة على هذه الإشكالية قسم البحث إلى ثلاثة محاور: تضمن المحور الأول المظاهر العامة لشهر رمضان في الدولة

الفاطمية,وبحث المحور الثاني أساليب الفاطميين في حساب غرة شهر رمضان ودرس المحور الثالث مدى فاعلية علم التأويل في رؤية الهلال.

المحور الأول

المظاهر العامة لشهر رمضان في الدولة الفاطمية

أولًا:المدلول اللغوي للصوم

يعرف الصوم بأنه الإمساك عن الطعام والشراب والكلام, إذ جاء في مقاييس اللغة أصل يدل على الإمساك والركود في مكان فيقال للقائم (ابن فارس، ١٩٩٧، صفحة ٣٢٣ج٣) فالإمساك عن الكلام والصمت أما الركود فيذكر صاحب تفسير الميزان أن الصيام والصوم مصدران في اللغة, بمعنى الكف عن الفعل أي الكف عمّا تشتهيه النفس وتتوق إليه كالصيام عن الأكل والشرب والكلام والمشي والحركة ثم تستخدم في الكف عن أمور مخصوصة تخص الشرع تبدأ من طلوع الفجر إلى المغرب بالنية (الطباطبائي، ١٩٩٢، صفحة ٤٠ج٢).

نلاحظ أن أصل كلمة صوم التي اختصت بالعبادة تدل على الإمساك والسكون عن الحركة والكلام وجاء في مواهب الرحمن إن كلمة صمت تستعمل للجماد أيضا فيقال صام الماء إذا سكن ورعد وصامت الخيل إذا أمسكت عن السير والحركة والاعتلاف(السبزواري، ٢٠٠٧، صفحة ٤٠٣ج٣)

تبين أنّ الصوم من الجانب اللغوي هو صيام يصوم بمعنى الإمساك عن الطّعام والشراب والكلام ويؤيد ذلك قول الله تعالى : (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) (القرآن الكريم، سورة مريم، الآية ٦٧)(الفيروز، ٢٠٠٥، صفحة ٤١ج٤)ومن الجانب الاصطلاحي وفق الشرع وأصوله يعرف بأنهُ الكف عن المفطرات من طلوع الشمس إلى دخول الليل مع قصد القربة إلى الله تعالى(الطوسي، ١٩٨٨، صفحة ١١٥ج ٢).

ثانيا:مظاهر احتفال الفاطميين بقدوم شهر رمضان

احتفى خلفاء الدولة الفاطمية بشهر رمضان احتفاء خاصا لم يشهد من قبل ولم يسبق له نظير، إذ كان يستعد لشهر رمضان قبل حلوله بآخر ثلاثة أيام من شهر شعبان, فيكلف القاضي بالاهتمام بالجوامع والمساجد الموجودة بالقاهرة والفسطاط والقرافة والمرورعليها وتفقدها ومتابعتها وملاحظة ما جرى فيها من إصلاحات تخص الإضاءة والنظافة والفرش فضلا عن تغليف القناديل وعمارتها وإزالة الشعث من الجوامع(المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥٠ج٢)

ركوب الخليفة أول شهر رمضان ويعني(الإعلان عن شهر رمضان) تعد هذه الممارسة من أهم الطرق التي يعبر فيها الخلفاء الفاطميون عن حلول الشهر فاعتاد الخليفة الفاطمي الإعلان عن حلول شهر رمضان بخروجه في موكب فخم رسمي كبير فيذكر المقريزي الاستعدادات التي تتبع بأمر الخليفة "فيجري أمره في اللباس والآلات، والأسلحة، والعرض والركوب والترتيب، والموكب والطريق المسلوكة "(المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٤٣٨ج٢) يصاحب ذلك إرسال الكتب والرسائل والشارات إلى ولاية الأعمال والنواب التابعين للنفوذ الفاطمي, ويعد هذا الموكب بمثابة الإعلان الرسمي بدخول شهر رمضان وبدء غرته وهو بديل عن رؤية الهلال والاحتفال به عند أهل السنة (ابن الطوير، ١٩٩٢، صفحة ١٧١)

وقد سعى الخليفة الفاطمي في أول يوم من رمضان بإهداء أطباق مملوءة بالحلوى ,وسط كل طبق صره من ذهب إلى جمع الأمراء وباقي أرباب الوظائف وعوائلهم فيشمل ذلك سائر أهل الدولة ويعرف هذا بغرة شهر رمضان ,ومن مظاهر الاحتفال بشهر رمضان قيام الخلفاء والوزراء والامراء وكبار رجال الدولة بإعداد المآدب في كل ليلة من ليالي الشهر في دورهم وكانت المسمطة تجهز بأجود أنواع الأطعمة التي تقدم للحاضرين من عامه الشعب (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥١ج٢)

ثالثاً: سحور شهر رمضان وفطوره عند الخلفاء الفاطميين:

بعد انتهاء مراسيم الإفطار وما يتخللها من أسمطة بقاعه الذهب في القصر الفاطمي يجلس الخليفة على شرفه كبيرة إلى وقت السحور, لسماع القراء وهم يتلون القرآن بأطوار جميلة, ثم يحضر بعدها المؤذنون للتكبير والتذكير بفضائل السحور ثم يختمون مجلسهم بالدعاء,وبعده ذلك يأتي دورالوعاظ للتبليغ عن فضائل الشهر الكريم فضلا عن مدح الخليفة والثناء عليه, ثم تستمر حلقات الذكر حتى منتصف الليل (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥٢ج٢) فيأمر الخليفة أن توزع على الحاضرين أطباق الحلوى والقطائف للأكل والبركة وعند وقت السحور يبدأ بمد مائدة السحور ويحضرها الخليفة والجالسون فيوزع عليهم من الطعام الخاص به على سبيل البركة فيأكلون منه ويحملون منه لأولادهم على سبيل البركة وبعدها يؤذن لهم بالانصراف (ابن المأمون، ١٩٨٣، صفحة ٨٢)

رابعا:ختام شهر رمضان

جرت عادة الخلفاء الفاطميين بالاحتفال بليلة ٢٩ من شهر رمضان باعتبارها ليلة الختم ,فيدعو الخليفة بمضاعفة رسم السحور المقرر في كل ليلة للمقرئين والمؤذنين بحكم أنها ليلة ختم شهر رمضان الكريم ,ويقوم الخليفة بدعوة أخوته وعمومته وأقاربه وجميع الجلساء بما فيهم الوزير لتناول الإفطار (ابن المأمون، ١٩٨٣، صفحة ٨٣)

ويذكر المقريزي أن المقرئين والمؤذنين بعد الإفطار يحضرون ويجلسون تحت الرواش المعد لجلوس الخليفة إذ يستفتح قراءة القرآن من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة وترتيلًا وبعد ختمه, يكثر الخطباء من الدعاء للخليفة والإشارة بمناقبه ومن بعدهم يكبر المؤذنون ويهللون , ثم يبذل لهم الخليفة الدنانير والدراهم فضلًا عن خلع الخلع عليهم وإعطائهم الحلوى فيأخذون منها إلى بيوتهم للتبرك كالعادة (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥٣ج٢).

احتفال العامة واستقبالهم قدوم شهر رمضان.

لم ينحصر كرم الدولة الفاطمية وسخائها المتمثل بالخلفاء والدعاة والقضاة في شهر رمضان على الخاصة فحسب، بل شمل العامة على اختلاف فئاتهم ولا سيما الفقراء, الذين حضوا برعايتهم فكانوا يتمتعون بهبات وصدقات لا تحصى كثرتها، فضلا عن أصناف الطعام التي تفرق عليهم في شهر رمضان (ابن عبد الظاهر، ١٩٩٦، صفحة ٣٨)

كان عامة المصريين وخاصتهم ينتظرون حلوله لما فيه من خير وعطاء وبركة وبر ويستقبلونه بالبهجة والمسرة فضلا عن الاحتفال بقدومه، إذ تزدهر المساجد بالعبادة والزهاد، وتمتلئ الأسواق بالحركة والنشاط ليلا فضلا عن رواج انتشار صناعة الحلوى القطايف والكنافة في عامة البيوت (الأحمر، ٢٠١٢، صفحة ٢٨٠)

ويتبين لنا مما سبق أن أغلب العامة كانوا على قدر عال من الحرية في زمن الدولة الفاطمية, إذ كانوا حريصين على الاحتفال به بكافة الطرق والأساليب فنلاحظ تواجدهم في سوق الشماعين بكثرة لشراء الشموع المختلفة الأحجام فضلا عن الفوانيس التي كانت تضيء بالشموع ويحملها أغلب الناس عند ذهابهم لأداء الصلاة بالجامع (الأحمر، ٢٠١٢، صفحة ٢٧٩)

وقد امتازت الفوانيس بوظيفة مهمة في ذلك الوقت , إذ وضع فانوس مضاء على مئذنة الجامع, ليعلم الناس وينبههم بامتداد فترة السحور إلى حين الإطفاء وهذه إشارة ببدء الصوم والإمساك عن الطعام (سلطان، ٢٠٠٩، صفحة ١٣٧)

ويبدو لي أن شهر رمضان كان له مكانة خاصة عند الخلفاء الفاطميين ,ويحظى باهتمام كبير باعتباره من أهم عقائد الدين الإسلامي والمذهب الإسماعيلي ,لذا حظي باهتمام واسع شمل الاحتفال بقدومه بإقامة الأسمطة الخاصة بطعام بالفطور والسحور ,فضلا عن إحياء لياليه بالعبادة والموعظة وقراءة القرآن وتستمر قدسية شهر رمضان حتى آخر يوم منه.

خامسا:إجراءات الفاطميون لحضر المنكرات بشهر رمضان

أكد الخلفاء الفاطميون على إجراءات مهمة لحضر المنكرات والنهي عنها,احتراما لاستقبال شهر رمضان غاية في الأهمية, وشددوا على منع إقامتها إذ أمروا بمنع العديد من المحظورات والمناكير التي لا تتلاءم مع قدسية شهر رمضان فأمروا بمنع الغناء وغلق محلات بيع الخمور ومنع خروج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ١٣٥ج٢)وينقل المسبحي لنا نص في سنة أربعمئة وأربع عشر في استهلال شهر رجب يبين فيه أصدر الفاطميون سجلا يمنع بموجبه المناكير بالأشهر المقدسة " يوم الجمعة قرئ في الأسواق بمصر سجل برفع المناكير وترك التظاهر بشيء منها ، وأن لا تخرج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة وأن تنزه هذه الأشهر الشراف عن المناكير وأن لا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون .....بالقرافة على شيء من المحظورات ، وأن يمنع الغناء ظاهرا أو التشهير بشيء منه (المسبحي، ١٩٨٠، صفحة ٣٤)

المحورالثاني

أساليب الفاطميين في حساب غرة شهر رمضان

أولًا:استدلال الإسماعيليين في رؤية الهلال

يعد الهلال رمزا من رموز المسلمين مقترنا بالشريعة الإسلامية ,لأنه يحدد رأس السنة الهجرية الإسلامية أو ما يسمى (السنة القمرية) والتي يكون الهلال عاملا مهما في تحديد مواعيد ومواقيت الحج والصوم وفق ولادة الهلال وفلوله

ولدعاة الإسماعيلية أنظمة خاصة واجتهادات بشأن تحديد وقت الصوم والإفطار, لم يتخذ الفاطميون من رؤية الهلال البصرية دليلًا على معرفة بداية شهر رمضان بل اعتمدوا على الرؤية العلمية دليلا وحجّة , ويعد هذا الاستدلال الفقهي الفلسفي ظاهرة هامة في عقائد الفاطميين,تخالف ما يعتقد به جمهور المسلمين العوام وبينة تدحض أراءهم, وأثبت ذلك الفاطميون وفق حسابات مبنية على حركه التدابير الوسطى وعملوا بها (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥٤ج١)

ثانيًا:حسابات الفاطميين وجداولهم لمعرفه بدء شهر الصيام

اهتم الفاطميون بعد دخولهم أفريقيا المغرب والاستقرار بها ثم مصر بدراسة علم النجوم والكواكب وحركتها وطرق الحساب وقد بين المقريزي" أن لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم ,مقلدين

بعضهم بعضا في عمل رؤية الهلال بطريقه الزيجات *(غنية، ٢٠٠٧، صفحة ٢٩٥) فألفوا زيجاتهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات" وهذه الحسابات معدة ومبنية على حركات التدبير معدّلة أو معمولة على سنة القمرالبالغة ثلاثمئة وأربعة وخمسون يوما وخمسة أيام، وسدس يوم، وأن ستة أشهر من السنة تامة، وستة أشهر ناقصة، وإن كل ناقص منها، فهو تال لتامّ، ولهذا قصد الفاطميون الإسماعيليون استخراج الصوم والفطرة بهذه الآلية الحسابية الدقيقة فتخرج قبل الواجب بيوم في أغلب الأحيان (المقريزي، ١٩٩٧، صفحة ٣٥٤ج٢)

ويرى الداعي الشيرازي أن المتعارف عن الصوم كما جاء به أصحاب الشرائع هو سد الأفواه وقتا معلوم دون مشرب ومأكل منافاة للبهائم ,وإذا أرجعناه إلى الحكمة التأويلية والمقادير العقلية, فهو روضة النعيم ,والفوز بخط الخير الجسيم.(الشيرازي، ١٩٧٤، صفحة ٢٠٢)

والعلة وراء ذلك كما يبينها صاحب المجالس المؤيدية تكمن بالأعداد الحسابية لفريضة صوم شهر رمضان قائلا : " الذي هو تاسع شهور السنة والتسعة نهاية الآحاد، ويبقى بعدها العشرات والمئات والألوف من الأعداد ، فشهر رمضان بكونه نهاية الآحاد ، مضمار لمعرفة التوحيد، ويبقى بعده من السنة ثلاثة أشهر ٢٧٧ بإزاء باقي الحساب ، وهوثلاثة عقود يكون باستيفائها تكملة الحساب ، وكمال معرفة الحدود"(الشيرازي، ١٩٧٤، صفحة ٢٠٢) قال الله تعالى : (هوَ الذي جعل الشمس ضياءً والقمرَ نُورا وَقدره منازل لِتَعْلَمُوا عدد السّنينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ)(القرآن, يونس, الآية ,٥)

الشهر	رقم الشهر	المراتب
محرم	١	احاد
صفر	٢	عشرات
ربيع الأول	٣	مئات
ربيع الثاني	٤	الاف

*الزيج : هو كتاب منه يُحسب سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم ، أي حساب الكواكب سنة لسنة , وقد اهتم الخلفاء الفاطميين بالفلك والنجوم والكواكب ،فكلفوا ابن يونس من المشتهرين باشتغالهم بعلم الفلك فشيدوا له مرصداً على قمة جبل المقطم ، ليؤدي رسالته على الوجه الاكمل ،.وقد طلب منه الخليفة العزيز الفاطمي (٣٦٥هـ-٩٧٥ م) ان يؤلف له موسوعة في علم الفلك ، فبدأها في عهده ، لكنه لم يتمها الا في عهد ولده الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ-٩٩٦ م) فسمية باسم (الزيج الحاكمي) هو زيج كبير في اربع مجلدات لم ير اطول منه ..

جماد الأول	**٥**	**احاد**
جماد الآخر	**٦**	**عشرات**
رجب	**٧**	**مئات**
شعبان	**٨**	**الاف**
رمضان	**٩**	**احاد**
شوال	**١٠**	**عشرات**
ذو القعدة	**١١**	**مئات**
ذو الحجة	**١٢**	**الاف**

جدوله توضيحية يبين ترتيب الشهر ورقمه العددي والمراتب التي ينتمي إليها من وجهة نظر الفاطميين الإسماعيليين.

يتضح أن الفاطميين الإسماعيليين ميزوا شهر رمضان وقرنوه بمدلول حسابي عددي, وفق تسلسل الشهور,فأخذ رقم تسعة وهذه العدد يعود لمرتبة الآحاد فهو بالتأويل الباطن مضمار التوحيد لله وكمال معرفة الحدود.

ثالثا:وجوب صوم شهر رمضان وستر مرتبه القائم:

يرى الإسماعيليون أن الصمت وكتمان الأسرار أساس وجوب الصوم, كما مبين بالجدول أدناه,ولذلك أمر المؤمنين أن يستروا ويكتموا أمره عن أهل الظاهر وأفصح الداعي السجستاني أن المعنى الأوضح لتأويل وجوب الصوم وستره هو ستر مرتبه القائم (السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٥)

ت	الأشهر الهجرية	الأئمة
١	**محرم**	**الناطق/النبي محمد صلى الله عليه وآله**
٢	**صفر**	**الأساس/الإمام علي عليه السلام**
٣	**ربيع الأول**	**الإمام الحسن عليه السلام**
٤	**ربيع الثاني**	**الإمام الحسين عليه السلام**

٥	جماد الأول	الإمام علي السجاد عليه السلام
٦	جماد الآخر	الإمام محمد الباقر عليه السلام
٧	رجب	الإمام جعفر الصادق عليه السلام
٨	شعبان	إسماعيل بن جعفر الصادق
٩	رمضان	القائم
١٠	شوال	
١١	ذو القعدة	
١٢	ذو الحجة	

ويشير الداعي أن شهر التاسع هو رمضان والشهور الثماني قبله تقابل الناطق النبي محمد **(صلى الله عليه وآله)** والأساس الإمام علي والأئمة الستة **(عليهم السلام)** من ذرية الإمام علي وشهر التاسع الذي هو شهر رمضان وشهر الصيام فهو حد القائم, لهذا أمر المؤمنين أن يستروه في وقته وزمانه ويفسر صاحب كتاب الافتخار قول الله تعالى(**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**)(القرآن,البقرة, الآية ,١٨٥)يعني أقيم الأساس بسببه, إذ إن أصلهُ وبدؤهُ هدى للناس يعني في حده يهدي الله الناس من الضلالة وبينات من الهدى والفرقان فهو فيصل مهم,من قبله تنشر البينات في الدنيا وبه يفرق بين أهل الحق والباطل, ويسترسل في تفسير الآية(**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**)(القرآن,البقرة, الآية ,١٨٥)وفق علم التأويل أن من أدرك زمان القائم فليلزم الصمت عن حده ولا يبينه ولا يظهره,(**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**) (القرآن ,البقرة, الآية, ١٨٥)والمراد من ذلك من وجهة نظر الإسماعيليين أنه من كان في غفلة وقلبه مريض لا يستطيع التحرر والخروج من حد القوة إلى حد الفعل فلينتظر رجوع القائم بعد غيبته عند انقضاء خلفائه (السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٦)وحول الأئمة ومدى ارتباطهم بالصيام والكتمان حسب التأويل الفلسفي قال الداعي الحامدي عند ذكر الأئمة وأسمائهم :"إنهم ممثول شهر الصيام الذي هو الستر والكتمان وهم الأئمة المستورون" (الحامدي، ١٩٧٩، صفحة ٥٧)وهو بذلك يؤكد أن الأئمة جزء مهم وفعال وجوهري في أصول الدين وعقيدته.

نستشف ممّا تقدم أن من الإسماعيليين يربطون شهر رمضان ربطا فلسفيا مع مرتبة الإمامة وبأسلوب تأويلي نابع من الفكر الإسماعيلي, الدال على علم الظاهر والباطن فضلًا عن ذلك فإنهم يؤولون كل شهر من أشهر السنة ويقرنوه بأحد الأئمة كواقع ثابت مؤمنين به .

رابعا:ترجيح الفاطميين الرؤية العملية دون الرؤية البصرية

أشكل الفاطميون الإسماعيليون على الزاعمين أن شهر رمضان تارة يتم وينقص تارة أخرى, وأن الصيام مبني على الرؤيا للهلال مستدلين بقول النبي **(صلى الله عليه وآله)** صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوما (الحر العاملي، ١٩٩٣، صفحة ١٨٥ج٧) يرى الفاطميون أن بدء الصوم وفق الاعتماد على الرؤية فاسد من عدة جوانب وأن شهر رمضان كامل لا يعتري به النقص بكل الأحوال, فنجد الداعي الشيرازي يحتج على هذا الحديث ومدلوله ويبين أن الصوم بالرؤية خاص بظرف معين, وأساسه ما روي عن النبي محمد **(صلى الله عليه وآله)**لما أراد التوجه لإحدى الغزوات في القرب من شهر رمضان, فاجتمع عليه أصحابه فقالوا يا رسول الله كلنا نصوم بصومك ونفطر بإفطار فكيف حالنا في غيبتك فقال رسول الله **(صلى الله عليه وآله)**"صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" (الشيرازي، ١٩٤٩، صفحة ١٨)

ويتبين من مضمون الحديث أن الرسول**(صلى الله عليه وآله)** أعلمهم أنهم إذا عدموه أو فقدوه يكون الاتكال في الصيام على رؤية الهلال لفترة معينة ولضرورة ملحة ولمن لا يجد الإمام, ويشير الداعي علي بن الوليد حول ذلك قائلا : " إن الصيام على رؤية الأهلة صيام الضرورة لمن لم يجد إماما يقتدي به" وأصل سبب الصيام على الهلال كان نتيجة لخروج النبي**(صلى الله عليه وآله)** لغزوة تبوك بمعنى أدق الصوم على رؤية الأهل ظرف استثنائي وليس استمراري لأن الله لا يعدم الأرض من قائم له فيها لقيام الحجة على عباده إذا فعند توفر الحجة ويكون الصيام وأحواله من شأنه مثل ما كان حال المسلمين عندما كان الرسول **(صلى الله عليه وآله)** بينهم فلم يلتفتوا إلى الهلال ولا يترقبون طلوعه للصوم والدليل على هذا قولهم للرسول**(صلى الله عليه وآله)**كنا نصوم بصومك ونفطر بإفطارك (بن الوليد، ١٩٨٣، صفحة ٩٥)

خامساً:أدلة الإسماعيلية على فساد الصوم برؤية الهلال:

يذهب الإسماعيليون الفاطميون أن صوم الرسول**(صلى الله عليه وآله)**برؤية الهلال فاسد لوجود ثلاثة أدلة اثنان شرعيان ودليل عقلي ,فأما الدليل الشرعي الأول: فمعلوم أن النبي محمد**(صلى الله عليه وآله)** كان على اتصال مباشر بجبرائيل وكان يأتيه بالخبر اليقين بالوحي والقرآن وأخبار السماء بكرة وعشيا, فلا حاجة له أن يقلب وجهه للسماء لطلب الهلال (الشيرازي، ١٩٧٤، صفحة ٢٠٧).

الدليل الشرعي الثاني: ويستنبط من قول النّبيّ**(صلّى الله عليه وآله)**:"أنا بطرقات السّماء أعرف منكم بطرقات الأرض" فكيف يطلب دليلا؟ من يقول أنا أعرف بطرقات السماء(الشيرازي ا.، ١٩٤٩، صفحة ١٩)

الدليل العقلي: وهو قائم على مدركات العقل ومدى تفكره واستدراكه، فكيف يوجب العقل مع معرفته باختلاف المرائي أن يفرض فريضة الصوم المتعلقة بفرائض الحج على الناس كافة على بينة واحدة, مع علمه بتفاوت الأماكن والبقاع وتباين ارتفاعها وانبساطها, فضلا عن ذلك لا تصح الرؤية بالعموم لكافة البلاد لأن قوم يرونه في الليل ما وقوم لا يرونه وهذا يؤثر في بيان وثبات الحجة (غالب، ١٩٨٢، صفحة ١٩٩)

ويتضح من ذلك أن عملية الرؤية المتضاربة ستخلق الشك هل هذا يوم شعبان أو رمضان,أو من شوال وهذا لا يصح ولا يقبله العاقل, ويستشهد الداعي الشيرازي بقول الله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**(القرآن ,البقرة آية : ١٨٣) والمراد من الذين من قبلكم هم النصارى وصومهم غير المتعلق بالرؤية بل بالحساب والدليل على ذلك قول الله تعالى :(أيام معدودات)للتأكيد والأيام المعدودات هي التي لا تزال معدودة لا يحتاج فيها للرؤية أو النظر, فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين وتارة تسع وعشرين لما قال أياما معدودات (الشيرازي، ١٩٤٩، صفحة ٢٠٨)

إذا فهو كامل الأيام تمام أيامه ثلاثون يوما لا تنقص إطلاقا (ظهير، ١٩٨٥، صفحة ٥١٠), ويؤكد الإسماعيليون على إثبات وتمام وكمال أيام شهر رمضان أمر الكفارات على من أفطر يومًا من شهر رمضان معتمدًا وهو أن يصوم شهرين متتابعين, توبة إلى الله تعالى, أي ستين يوما فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ,فلو كان شهر رمضان يحتمل أن تكون أيامه تسع وعشرون يوما لاحتمل أن تكون الكفارة إطعام ستين مسكينا أو ثمان وخمسون مسكينا. (الشيرازي، ١٩٧٤، صفحة ٢٠٩)

يتبين لي مما ذكر أن الفاطميين الإسماعيليين يؤكدون وفق منظورهم الفلسفي أن رؤية هلال رمضان تثبت عن طريق النبي**(صلى الله عليه وآله)** أو الإمام لأنه حجة من الله لإثبات أوامره وتعاليمه ,ويستشكل صاحب كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد حول كيفيه تعلق الرؤية بالصيام قائلًا" وتحت هذا القول عجائب يوجب النظر إليها, الأرض مختلفة المطامع وللقمر حالات في كون تارة في الجنوب وتارة في الشمال وارتفاع البقاع وانخفاضها"(بن الوليد، ١٩٨٣، صفحة ٩٦)فهو يرى استحالة ربط الصيام بالهلال بشكل جازم لتنوع واختلاف تضاريس أراضي البلاد الإسلامية,وتباينها من بلد لبلد, فيجب الاعتماد على القائم من ذرية الإمام للإذعان بحلول شهر رمضان الكريم.

المحور الثالث

مدى فاعلية علم التأويل في رؤية الهلال

أولًا:التعبد في الصيام برؤية الهلال.

زعم الكثير أنهم لا يصومون في أول الشهر إلا بعد رؤية الهلال ولا يباشرون الإفطار إلا بعد رؤيته إلا أنهم يخالفون ما يقولون لأسباب عدة:

١- قولهم إذا وفي شعبان ثلاثين يوما صاموا ولم يلتقوا إلى الهلال.

٢- قولهم إذا وفى رمضان ثلاثين يوما أفطروا ولم يراعوا طلوع الهلال.

٣- قولهم وإن اتفقوا أن يروا هلال شهر شوال بعد مضيف ثمانية وعشرين يوما عن شهر رمضان أفطروا .

٤- فضلا عن ذلك لا يكتفون بما صاموا ولهذا يقضون يوما عن أول بداية الشهر ,ليتمموه تسعة وعشرون يوما وهذا أقل عدد أيام الشهر عندهم.

ثانيا:التعبد في الصيام بالعدد

زعم الكِثير أن الصيام بالعدد جائز ومقبول ويؤخذ به حسب القياسات الحسابية المتبعة, إلا أن هذا التعبد يرفض ويرد عليهم والسبب يعود إلى:

١-إنهم لو رأوا هلال رمضان قبل أن يوفى شعبان عدته وعلموا دخول رمضان ولم يلتفوا إلى عدد أيامه.

٢-لو طلع الهلال قبل تمام عدتهم في شهر رمضان لأفطروا ولم يعتبروا لما قد بقي من الشهر.

٣- لو كان التعبد بالمفرد يعتد به لما كان على غيره معتمدا.

فالصوم دخوله وانتهاؤه, يعتمد على الرؤية والحساب مجتمعة أحدهما يكمل الآخر فإنهما كالظاهر والباطن, فإذا تعذر الأخذ بأحد العبادتين وأشكل الأمر التمس الآخر,فضلًا عن ذلك ولأجل عدم الدخول بإشكالية تمنع الترجيع والجزم احتيج للإمام الذي ينوب عن النبي(**صلى الله عليه وآله**) بعد رحيله ليستخرج الحقيقة والبت بها وهذا ما يؤكده صاحب كتاب المجالس المستنصرية قائلاً : "**التعبد في دخول الصوم والخروج منه بالرؤية والحساب**

جميعا ، إنهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر في أحدهما التمس في الآخر، ولأجل ذلك احتيج فيه إلى الإمام عليه أفضل السلام يستخرج حقيقته ، ويوضح طريقته ، فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول ،والحساب يستعمل من أول كل سنة ثم يراعي طلوع الهلال ، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن ...."

ثالثا:الصوم بالظاهر والباطن:

ويذكر السجستاني"أن الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول **(صلى الله عليه وآله)**وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب" (السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٧١) ولهذا يعد علم الظاهر والباطن من أهم العلوم الأساسية التي اتكئ عليها الفاطميون في قيام دعوتهم ونشر أفكارهم في أغلب أماكن تواجدهم عن طريق الدعاة,"أن الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول **(صلى الله عليه وآله)** وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب". ولهذا فقد عرف الفاطميون الإسماعيليون الصوم في محتواه الباطني بانه كتمان علم باطن الشريعة وإخفاء أسرارها عن أهل الظاهر وسترها وعدم الجهر بها, وهذا التعريف يتوافق مع مقاييس اللغة التي تعرف الصوم بأنه الإمساك عن الكلام والوقوف عن الأعمال ,لذلك كان الصوم في النهار دون الليل ليصبح ذلك ظاهرا.

وبما أن الصوم فقط بالنهار الذي يمثل علم الظاهر وأهله, لزم عدم مفاتحة ومعرفه خفايا وأسرار علم الباطن الذي يمثل الليل فضلا عن ذلك لا يجوز المفاتحة بعلوم أهل الباطن وأسرارها وخفاياها لأهل الظاهر ,فالصوم من وجهة نظر الفاطميين أبعد وأوسع من كونه إمساكا عن طعام أو شراب بل علم وفلسفه خاصة, وهذا ما أكده القاضي النعمان قائلًا : " **الصوم الباطن كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر و الإمساك عن المفاتحة به ممن يؤذن له في ذلك كما جاء في اللغة أنّ الصوم يكون الإمساك عن الكلام و الوقوف عن الأعمال و النهار كما تقدم القول و البيان عنه، مثله مثل الظاهر و أهله و الليل مثله مثل الباطن و أهله و لذلك كان الصوم في النهار دون الليل ليصح ذلك ظاهرا و باطنا ... و يصح معانيه، كذلك المفاتحة بالباطن لا تجوز لأهل الظاهر و تجوز لمن يطلق له من أهل الباطن و في حد ذلك و مكانه**" (النعمان، د.ت، صفحة ١٠٨)

ويؤمن الفاطميون الإسماعيليون, أن لكل شيء في هذا الكون, ظاهر محسوس له معنى وآخر خفي يعرف بالمعنى الباطن، واستدلوا بحديث روي عن الرسول**(صلى الله عليه وآله)** قال :" ما نزلت علي آية من القرآن إلّا ولها ظاهر وباطن"(النعمان ,.، ١٩٦٠، صفحة ٣٠)

نستنتج مما ذكر أن الفاطميين الإسماعيليين لا ينظرون إلى الصوم على أنه الصوم عن الطعام والشراب المادي الملموس الظاهر للعيان فحسب, بل أرجعوه لعلوم الشريعة وأصولها فعدوه كتمان أسرار باطن الشريعة وخفاياها عن أهل الظاهر المعادين المخالفين لهم، فنهار الصوم يشبه علم الظاهر فاعتبروه شيئا خاصا معزولا عن ليل الصوم الدال على علم الباطن وعلومه.

رابعا:صاحب الشريعة وحركة دوران شهور السنة:

إن للدولة الفاطمية دعائم نابعة من جوهر العقيدة الإسماعيلية, هم الدعاة ومراتبهم التي كانت توظف توظيفا دقيقا يتماشى مع توجهاتهم الدينية ومحورا أساسيا في التأويل الباطن استعان بها الفاطميون لترتيب نظامهم وإيضاح معالم الشريعة وفي مقدمتها:

مرتبة :الناطق الرسول وله رتبة التأويل ,(صاحب الشريعة).

مرتبة :الأساس , وله رتبة التأويل .

مرتبة: الإمام , وله رتبة الأمر والسياسة للأمة التي هو بعض منها (الكرماني، ١٩٦٧، صفحة ١٦٩).

فربط الإسماعيليون هذه المراتب بشهور السنة عن طريق التأويل الباطني وهذا ما أكده صاحب كتاب تأويل الدعائم: إن شهر رمضان شهر من شهور السنة معروف والسنة اثنتا عشرة شهرا, فمثل السنة في التأويل الباطن مثل الناطق صاحب الشريعة, وهو الرسول محمد **(صلى الله عليه وآله)**وهو يسن الحكمة بأمر الله وبما أنه جامع أمر الشريعة فله الحق في تدبيرها وحكمها, كما تدور السنة على كل من يجري فيها أثناء دورانها ,(النعمان، د.ت، صفحة ١٠٨ج٣)

فيعد الناطق الّذي هو صاحب الشريعة المتمثل بالرسول محمد **(صلى الله عليه وآله)**، مثل شهور الاثني عشر مثل نقباء صاحب الشريعة الاثني عشر، فضلا عن ذلك قول الله في كتابه الكريم: **(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (القرآن,سورة المائدة,الاية١٢)** مثل نقباء موسى **(عليه السلام)**، و مثل نقباء عيسى**(عليه السلام)** اثنى عشر، و هم الحواريون ويرى الإسماعيليون بأن أحد النقباء يكون أساسا لصاحب الشريعة، يوصى إليه في حياته و يكون ولي أمر أمته بعد وفاته، فمثل شهر رمضان في دور محمد رسول الله **(صلى الله عليه وآله)**مثل علي بن أبى طالب **(عليه السلام)** و هو والوصي في حياته ولي أمر أمته من بعده و إلى الوصي يكون أمر الدعوة المستورة و علم التأويل الباطن المستور،(النعمان، د.ت، صفحة ١٠٩ج٣)

فتمثل الشهور الاثني عشر لصاحب الشريعة النقباء الاثني عشر ومثلما بالشهور شهر فضيل مقدس أساس الشهور هو رمضان كان لابد أن يتوفر بالنقباء شخص يدير الأمور بعد دورة الرسول محمد**(صلى الله عليه وآله)**،والمتمثل بشخص الإمام علي **(عليه السلام)**هو وصيه في حياته وولي أمر أمته من بعده, واليه يؤول أمر الدعوة المستورة,وعلومها المتمثلة بعلم التأويل الباطن المستور,(ظهير، ١٩٨٥، صفحة ٥١٠) يتبين أن الفاطميين الإسماعيليين يؤمنون بأن الصوم وفلسفته وتأويله الباطن مثل منزلة الوصي الذي يحفظ أسرار الدعوة المستورة وتأويله الباطن المستور.

نلاحظ أنّ الفاطميين يستدلون بأن عدة شهر رمضان يجب أن تكون ثلاثين يوما تماشيا مع قول الله تعالى : (وليكملوا العدة) فنص الله على كمال عدته لا ينقص ما دامت الشهور تجري مثل أولياء الله القائمين بأمر دينه لعباده, وبين القاضي النعمان أيام الله التي أوردها جل ذكره في القران الكريم : **(قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)(القرآن,سورة الجاثية,الآية: ١٤)**(النعمان، د.ت، صفحة ١٠٨)

يتضح أن الإسماعيليين قد ربطوا العديد من الظواهر والحوادث المنبثقة من علم التأويل الباطن المستمد من فلسفته عقائدهم بالقرآن والعترة, فنجدهم يمثلون ويشبهون ويقرنون أيام الله التي ذكرها الله في كتابة بأيام وعدة شهر رمضان البالغة ثلاثون يوما ويرجعونها إلى الأئمة والحجج والأبواب الذين يكونون ضمن المدة الزمنية الواقعة ما بين الإمام علي**(عليه السلام)** والإمام المهدي. فهم عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب, وهؤلاء مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله تعالى بصومها وهذا الرأي منبثق من منظور التأويل الدال على كتمان أمرهم وكل ما يلقونه من أسرار وخفايا, ولا يفصحون بعلمهم لمن يروه حتى يؤذن لهم(ظهير، ١٩٨٥، صفحة ٥١٠)

خامساً:بطلان الصيام لمن عصى الإمام:

رتب الإسماعيليون العديد من الأعمال الصالحة الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي مقدمتها منزلة الإمامة التي تأتي بالمرتبة الثانية بعد النبوة فالدين لا يستقم أمره إلا بها, فالإمامة كالدائرة تدور عليها الفرائض لا تصلح وتقبل الأعمال إلا بوجودها ,ونتيجة لذلك أبطلوا صيام كل من خرج عن طوعه, وهذا ما أشار إليه الإسماعيليون أنه لا صيام لمن عصى الإمام ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع ولا صيام لامرأة ناشز حتى تتوب ولا صيام لولد عاق حتى يبر بوالديه,وبيان ذلك وتفسيره العقدي ظاهرًا وباطنًا, فإن فعل ما ذكر بالظاهر والباطن وصام في الظاهر لا يقبل منه صيامه حتى يرجع ويتوب.النية مثل الولاية و أنه لا يتم عمل إلا بنية كما لا يتم و لا يقبل كذلك إلا بولاية أولياء الله فمن عصى الإمام أو عق أحد من حدوده فقد خرج من ولايته,(النعمان، د.ت، صفحة ٥١١)

سادسا:تأويل الصوم وفق المنظور القرآني.

يؤول الفاطميون الصوم بأنه الستر والكتمان كما ذكرنا مسبقا وأكد صاحب الرسالة المذهبة بأن الصوم هو الستر والكتمان, ألا ترى إلى قول مريم : **(إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)** (القرآن, سورة مريم ,الآية :٢٦) (النعمان، ١٩٥٦، صفحة ٥٧) واستدل الفاطميون على مفهوم الصوم بصوم مريم وصمتها, بأن مريم نذرت صوم الكلام مع قومها على الرغم من رؤيتها أحد البشر وأن يكن شيئا حادثا ولذلك وجب عليها بحدوثه الصوم وهو الصمت ,علما أنها كانت مفطرة يعني متكلمة وهذا يوجب لها جلالة ومرتبة عن من كانت تكلمهم,فضلا عن ذلك فإن الصمت قد لزمها ,والتأويل لهذه القصة التي استدل بها الفاطميون تاريخا إن مريم كانت مربية المسيح, بعد غيابه,بتأييد ورعاية من الله للقيام بتربيته ,رغم أنها كانت ترعاه خشيه أن يكون ذلك غير جائز لها مع فقد المتمم وغيبته عن العالم(السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٤).

وأثبت الفاطميون الإسماعيليون أن لمريم **(عليها السلام)**علتين لصمتها وفق مدلولهم العقائدي , العلة الأولى: عندما تحقق لمريم ما كانت تسعى له من تربيه المسيح,فربته تربية حسنة, وبلغت به مبلغ الناطقية وعلمت أن الصمت قد لزمها وهي المـرتبة التي استغنى بها المسيح عنها ,العلة الثانية: وجوب جلالة و تعظيم لمرتبة المسيح **(عليه السلام)**,كي لا يكون معها شريك لتربية عيسى, وهذا تأويل سبب امتناع وصمت مريم وندرها ترك الكلام.(السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٥)

نستنتج من حديث السجستاني" أن الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر وكتمان الأسرار عنهم ونشرها في أهل الحقائق..... وصوم رمضان هو ستر مرتبه القائم, فمن شهد منكم الشهر فليصم بمعنى أنه من أدرك زمانا الإمام فليلزم الصمت والستر, صوما إذا هو صمت والكشف إفطار إذا هو تكلم.(السجستاني، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٥) فنجد الإسماعيليون قد أولوا وفسروا أحاديث الرسول **(صلى الله عليه وآله)** وأقواله وفق فلسفه عقائدية, واستقراء منطقي باطني وليس ظاهري,على اعتبار أن العلوم تحاكي الخواص وأهل الدراية.

سابعا:استدلالهم على تأويل الحديث :

اعتمد الإسماعيليون في إثبات حجية عقائدهم وصواب آرائهم الدينية على علم التأويل ,فسعوا إلى تفسير وتحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ,فضلا عن روايات أهل البيت بنظرة عميقة نابعة من أسس دعوتهم وأفكارها الفلسفية, فقد أوردوا حديث النبي **(صلى الله عليه وآله)** (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك)(الكليني، ١٩٤٧، صفحة ٦٥ج٤) فقد بين الفاطميون بأن الصوم كتمان لأمور الدين وعلومه عمن لا يستحقه لضرورات خاصة بعقائدهم ,فيرى الإسماعيليون أن الصائم مثل الكاتم لدين وعلمه عمن لا

يستحق,والخلوف يطلع على الإنسان من بخار المعدة لتعطلها عن الطعام، فأشاروا بذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به, ولم يحضر أهله [أناسه الورعين](شتروطمان، ٢٠٠٤، صفحة ٧٥)

يتضح من ما ذكر أن الصوم هو كتمان أسرار خاصة بالإسماعيلية, والصمت عند حدودهم*(الكرماني، ١٩٨٧، صفحة ٧٥)أولى من الكلام ولاسيما عندما لم يجدوا صاحب مرتبة الأساس, أي الإمام المفروض عليه البيان, وأن إخراج الكلام بدون إذن من أصحاب الحل والعقد ,يشبه الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الصائم لصوم, وأن كتمان الكلام وأسراره وعلومه إلى وقت معلوم إلى أهله المفروض طاعتهم يشبه رائحة المسك بفضل الكتمان.(شتروطمان، ٢٠٠٤، صفحة ٧٥)

ثامنا:الرؤية الطبيعية والرؤية النفسانية للهلال :

اتصفت التنظيمات الدعوية الإسماعيلية بالدقة والثبات لترسيخ عقيدتهم وفق حقائق ثابتة تخص العبادة العملية والعبادة العلمية, فرؤية هلال شهر رمضان كما يصفه الداعي الكرماني:بأنه اقترن بالأوامر والفرائض وأقرانها, لأن الله خلق الأشياء كلها أزواجا ليكون متفردا بالوحدانية فلا يشاركه فيها شيء فقال الله عزّ وجلّ : **(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا)**(القرآن, يس ,الآية:٣٦)وقال سبحانه : **(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**(القرآن, الذاريات ,الآية:٤٩) فرأينا الأشياء التي خلقها الله كلها أزواجا وأشكالا ,كالسماء والأرض والبر والبحر والسهل والجبل, والليل والنهار, والخير والشر, والجسد والروح, والظاهر والباطن, والدنيا والآخرة والأنثى والذكر, إلى غير ذلك فضلا عن تجريد توحيد الله مثل الصلاة التي قرنها بالزكاة والأذان التي قرنها بالإقامة والحج الذي قرنه بالعمر والصفا قرنه بالمروة والركوع الذي قرنه بالسجود والفريضة التي قرنها بالسنة, وشهادة لا إله إلا الله قرنها بشهادة محمد رسول الله,(الكرماني، ١٩٨٧، صفحة ٦٩)

يتضح أنَّ لرؤية الهلال رؤيتان وفق سياق ما ذكر تكون أحدهما مقرون بالآخرة ,فالرؤية الطبيعية تكون مقرونة بالرؤية النفسانية, فالرؤية الطبيعية: هي رؤية تستحصل بالعين التي تميز وتدرك الألوان وتميز بياضها من سوادها وحمرتها من صفرتها, فضلا عن الأشكال ومحتواها من تدوير وتثليث وتربيع وتخميس ...ألخ وهذه الرؤية ومدلولها والاحتجاج بها يستغني عنها والسبب لوقوعها تحت الحس البشري(الكرماني، ١٩٨٧، صفحة ٧١)فالرؤيةالطبيعية يمكن التوصل إليها من جهة العين لا تدِرك من الأشياء إلا ما كان جسمانيا ماديا واقعا تحت

*الحدود : هي مراتب علوية تخص العقل التعلم النفس والجد اسرافيل والفتح ميكائيل والخيال جبرائيل ومراتب سفلية تسمى الناطق النبي والاساس الامام والباب الوصي والحجة الداعي وهي اصول يرتكز عليها المذهب الاسماعيلي .

الحد والزمان مثل الأشكال والألوان, ويذكر صاحب الرسالة اللازمة أن الرؤية النفسانية: تكمن ويستدل بها عن طريق العلم والقلب والنفس وهذه الرؤية تدرك ما لا تدركه الرؤية الطبيعية من الأسماء التي تغيب الأسباب عن إدراكها وفهمها ,ويبين الفاطميون الإسماعيليون ذلك بأدلة من القرآن الكريم, قال الله سبحانه **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)**(القرآن, النجم ,الآية:١١) وقال سبحانه :**(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)**(القرآن, الفيل ,الآية١)فالواضح أن النبي لم يدرك أصحاب الفيل ولم يرهم وهذه الرؤية المراد بها الرؤية النفسية التي تكون تابعة لجهة القلب والعلم.(الكرماني، ١٩٨٧، صفحة ٧١)

ونلاحظ ان الرؤيةالنفسية تدرك ما تعجز عن فهمه وادراكه الرؤيةالطبيعية ومما يغيب عن الابصار,فان فعلها ومدلولها واستنباطها يتركز على معرفه الاشياء وادراك حقائقها لا على البصر, ويبرهن مصطفى غالب, حول الرؤيتان لو ان انسان اخذ من غديرما قطره حكمتالرؤيةالنفسانيةفان كميه ذلك الماء قد نقصت بقدر القطر وهذه الرؤية صحيحه لو تم قياس ذلك النقص وفقا للحس من جهة العين والبصر فهو امر غير واقع وغير معقول ونتيجة ذلك الاستدلال فان الاعتماد على الرؤيةالنفسانية افضل وادق الطرق ادراكا ولزوما في الاخذ بها للعمل بأداء فرائض الله تعالى من الاخذ بغيرها(غالب، ١٩٨٢، صفحة ٢٠٢).

وهذا ما دفع علماء الإسماعيلية الاعتماد على حكم الرؤية النفسانية عند إعلان بدء دخول شهر الصوم ,لا التي يقع فيها الخطأ, فأثبت الإسماعيلية أن شهر رمضان يجب أن يكون ثلاثين يوما وفق تقويم حسابي خاص, هذا من جانب ومن جانب آخر يثبت وجوب الصوم على المؤمنين , فمن كان مع الإمام فليصم بصومه ويفطر بإفطاره كما يبلغه الإمام ويعلنه لأن الإمام يهتم ويعنى بشهر رمضان وقدومه كما يعني بأمور الدين كلها التي أوكل الله النظر له في أمرها فلا يصوم ولا يفطر ولا يتآمر الناس بدخول الشهر إلا على يقين من أمره أو ما يثبت عنده.

الاستنتاجات

١-أثبت أن مدلول الصوم لا يقتصر عن الصمت والكتمان والإمساك عن الطعام فحسب بل يشمل علوم ومعارف وخفايا أهل الحق.

٢- اكد انالفاطميونالاسماعيليون كانوا يصومون شهر رمضان كفرض اساسي ومهم من اصول الدين.

٣- أكد على مدى احترام الفاطميين الإسماعيليين شهر رمضان وتعظيمه باعتباره شهر الله الكريم بإقامة حلقات الذكر ومحافل قراءة القرآن فضلًا عن إعداد الأطعمة أوقات الفطور والسحور.

٤-أثبت أنّ الفاطميين الإسماعيليين حرصوا على منع وإبطال كل مظاهر الفساد,كالخمور والغناء احترما للشهر الفضيل.

٥- أثبت أن الفاطميين الإسماعيليين عاملوا المجتمع المصري بمستوى واحد خال من العنصرية والمذهبية عند إعلان غرة شهر رمضان ,فهم لم يفرقوا بين عامة الشعب وباقي طبقاته في مظاهر الاحتفال.

٦-أثبت الفاطميون الإسماعيليون أن الهلال في حالة وجود الرسول(صلى الله عليه وآله) و الإمام لا يعتمد فيه على الرؤية البصرية.

٧-أثبت أن هناك رؤيتين اعتمد عليها الفاطميون الإسماعيليون أحدهما طبيعية تخص المحسوسات فقط وأخرى نفسانية تخص الإدراك العلمي القائم على التدبر العلمي العملي ووفق معطيات .

٨-أثبت أن الفاطميين الإسماعيليين لهم نظام خاص نابع من منهجهم في علم التأويل للصوم.

٩- أثبت أن الفاطميين الإسماعيليين قد عظموا شهر رمضان بطريقة فلسفية حسابية قائمة على ربطه بالأرقام فتسلسله بالشهور هو رقم تسعه وتسعة هي مرتبة الآحاد والآحاد هي مضمار التوحيد ومعرفه الحدود.

١٠-أثبت أن الفاطميين الإسماعيليين بعقيدتهم لا يختلفون عن عقائد المسلمين وفرقهم ,فهم يؤمنون بالصوم فرض واجب من فروض الدين وركن أساسي من أركان الإسلام ,وأنه ثلاثون يومًا بالدلائل والحجج .

المصادر

القرآن. (الكريم)..

آبادي الفيروز. (٢٠٠٥). *القاموس المحيط* (المجلد ٨). بيروت: مؤسسة الرسالة.

إبراهيم الحامدي. (١٩٧٩). *كنز الولد*. (مصطفى غالب، المحرر) بيروت: دار الأندلس.

ابن الطوير. (١٩٩٢). *نزهة المقلتين في أخبار الدولتين*. بيروت: دار فشر فرانتس.

ابن عبد الظاهر. (١٩٩٦). *الروضة البهية الزاهرة* . القاهرة: مكتبة الدار العربية.

ابن فارس بن زكريا القزويني. (١٩٩٧). مقايس اللغة. القاهرة: دار الفكر.

أبو جعفر الطوسي. (١٩٨٨). *التبيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو يعقوب إسحاق السجستاني. (٢٠٠٠). *الافتخار*. (قربان بونا والا إسماعيل، المحرر) بيروت: دار الغرب الإسلامي.

إحسان إلهي ظهير. (١٩٨٥). *تأويل الدعائم*. باكستان: إدارة ترجمان السنة.

أحمد حميد الكرماني. (١٩٦٧). *راحة العقل*. (مصطفى غالب، المحرر) بيروت: دار الأندلس.

أحمدحميد, الكرماني. (١٩٨٧). مجموع *رسائل الكرماني (الرسالة اللازمة في صوم رمضان)*. بيروت: الموسسة الجامعية للدراسات.

الحر العاملي. (١٩٩٣). *وسائل الشيعة*. د–م: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

الشيرازي. (١٩٧٤). *المجالس المؤيدية*. بيروت: دار الأندلس.

القاضي النعمان. (١٩٦٠). *أساس التأويل*. بيروت: دار الثقافة.

القاضي النعمان. (د.ت). *تأويل الدعائم*. القاهرة: دار المعارف.

القاضي بن محمد بن حيوان النعمان. (١٩٥٦). *أربع رسائل*. سوريا: دار الإنصاف للنشر.

الكليني. (١٩٤٧). *الكافي*. طهران: دار الكتب الإسلامية .

المسبحي. (١٩٨٠). *أخبار مصر ٤١٤–٤١٥*. القاهرة: الهئية المصرية للكتاب.

المقريزي. (١٩٩٧). *المواعظ والاعتبار*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

المؤيد في الدين الشيرازي. (١٩٤٩). *السيرة المؤيدية*. القاهرة: دار الكتاب المصري.

تقي المقريزي. (١٩٩٧). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. بيروت: دار الكتب العلمية،.

جمال الدين البطائحي بن المأمون. (١٩٨٣). *نصوص من أخبار مصر*. القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

رمضان محمد الأحمر. (٢٠١٢). *الحياة الاجتماعية في مصر في عصر الدولة الفاطمية*. القاهرة: شركة القدس للنشر.

شتروطمان. (٢٠٠٤). *أربعة كتب إسماعيلية*. دمشق: التنوير للطباعة والنشر.

عبد الأعلى السبزواري. (٢٠٠٧). *مواهب الرحمن في تفسير القرآن*. إيران: مطبعة شريعتي /دارالسفير.

عبد المنعم سلطان. (٢٠٠٩). *الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي* . الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

علي بن الوليد. (١٩٨٣). *تاج العقائد ومعدن الفؤائد* (المجلد ٢). (عارف تامر، المحرر) بيروت: مؤسسة عز الدين.

محمد حسين الطباطبائي. (١٩٩٢). *الميزان في تفسير القرآن*. قم: موسسة ومطبعة إسماعليان.

مصطفى غالب. (١٩٨٢). *مفاتح المعرفة*. بيروت: مؤسسة عز الدين.

ياسر غنية. (٢٠٠٧). *المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية*. بغداد: أطروحة دكتوراه غير منشورة كلية التربية جامعة بغداد.